

الباب السادس

نعيم الجنة

١ - صفة الجنة

يقول الله سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

في روحانية وتكريم ، وفي ثناء وتطمين ، ارجعي الى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد . ارجعي الى ربك بما بينك وبينه من صلة ومعركة ونسبة .. راضية مرضية ، بهذه الندادة التي تفيض بالتعاطف والرضى فادخلي في عبادي المقربين المختارين لينالوا هذه القربى وادخلي جنتي في كنفي ورحمتي ، إنها عطفة تنسم فيها أرواح الجنة .. إلى هذه النفس المطمئنة . المطمئنة إلى ربها ، المطمئنة الى طريقها ، المطمئنة إلى قدر الله بها ، المطمئنة فلا ترتاب ، والمطمئنة فلا تنحرف ، والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق ، والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعب .

ألا إنها الجنة بأنفاسها الرضية الندية تتجلى عليها طلعة الرحمن الجليلة البهية . وقد فصل الله متاع الجنة التي أعدت للمؤمنين ، ووراءها متاع يعرفونها هناك يوم يتهاون لإدراكها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل :
« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ،
واقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين^(١)) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه
الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر » ثم قرأ هاتين الآيتين : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفاً وطمعاً وبما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً
بما كانوا يعملون^(٢)) .

وعن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده رضي الله عنهم عن
النبي ﷺ قال : « لو أن ما يُقِيل ظُفْرُ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ لَتَزْخَرَفَ لَهُ مَا يَبِينُ خَوَاقِقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَأَ سَوَارَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ
الشَّمْسِ ، كَمَا تَطْمَسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ^(٣) » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لقابُ قوسٍ في الجنة
خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو تغرب^(٤) » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قيد سوط أحدكم في
في الجنة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها ، ولقابُ قوسٍ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا
ومثلها معها ، ولنصف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها » قلت : يا أبا هريرة

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا ، والترمذي وقال : حديث حسن غريب .

ما النصف ؟ قال : الخمار^(١) ، ..

وفي رواية الطبراني في الأوسط مختصراً بإسناد رواه رواة الصحيح ، ولفظه :
قال رسول الله ﷺ « لموضع سوط في الجنة خير مما بين السماء والأرض » .
وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « أن موسى عليه السلام
سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ،
فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟
فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ،
فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول :
هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب .
قال : رب فأعلام منزلة ، قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ،
وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم
القيامة ؟ قال : « وهل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » ؟ قالوا : لا
يا رسول الله ، قال : « هل تمارون في الشمس ليس دونه سحاب » قالوا : لا ، قال :
« فانكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ،
فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى
هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى
يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت
ربنا ، فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهري جهم ، فأكون أول من يجوز من
الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم

(١) رواه أحمد بإسناد جيد ، ورواه البخاري بلفظ آخر .

(٢) أخرجه مسلم .

وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظيمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق (يهلك) بعمله ، ومنهم من يخردل ، ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم بأثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا^(١) ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبلٌ بوجهه قبل النار ، فيقول : يارب اصرف وجهي عن النار قد قشبنى^(٢) ريحها ، وأحرقني ذكاه^(٣) فيقول : هل عسيت إن أفعل أنت تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وعزتك ، فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فاذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ماشاء الله أن يسكت ، ثم قال : يارب قد مني عند باب الجنة ، فيقول الله : أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لاتسأل غير الذي كنت سألت ؟ فيقول : يارب لا أكون أشقى خلقك . فيقول : فما عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير هذا ، فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق ، فيقدمه الى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور ، فسكت ماشاء الله أن يسكت ، فيقول : يارب أدخلني الجنة ، فيقول الله : ويحك يا ابن آدم ما أغدرك ! أليس قد أعطيتني العهود أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟ فيقول : يارب لاتجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن ، فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته ، قال الله : تمن من كذا وكذا ، يذكره ربه ، حتى اذا انتهت به الأمانى قال الله لك ذلك ومثله معه^(٤) .

(١) امتحش : احترق .

(٢) قشبنى ريحها : أي آذاني .

(٣) ذكاه : اشعالها ولهبا .

(٤) واه البخاري .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة رجلٌ صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثّل له شجرة ذات ظل ، فقال : أي رب قربني من هذه الشجرة أكون في ظلها » فذكر الحديث في دخوله الجنة وتمنيه . إلى أن قال في آخره « إذا انقطعت به الأمانى قال الله : هو لك وعشرة أمثاله . قال : ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجته من الحور العين . فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك . قال : فيقول : ما أعطي أحد مثل ما أعطيت (١) » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى متفعد أحدكم من الجنة ، من يقول له : تَمَنَّيْ فَيَتَمَنَّيْ ، وَيَتَمَنَّيْ ، فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول : نعم فيقول له : فإن لك ما تمنيت ومثله معه (٢) » .

إنها الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، جنة وحريرا ، جنة يسكنونها وحريراً يلبسونه . (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها ، ودلّت قطوفها تذليلاً) .

فهم في جلسة مريحة مطمئنة . والجو حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حرٍّ ندي في غير برد . فلا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير وهو البرد القارس ! ولنا أن نقول إنه عالم آخر ليست فيه شمسنا هذه ولا شمس أخرى من نظائرها . وكفى !

وهناك الظلال الدانية . وإذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة والاسترواح على أمتع ما يتبد إليه الخيال . (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) . فهم مستقرون مسترواحون ناعمون في الظلال .

إنها صورة الجزاء الرفيع الخالص الفريد . الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم .

الخاصة ، والاعزاز الذاتي ، والاكرام الالهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) . تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه وتوحيه بذاته العلية لإعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة بما تُقر به العيون . هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه . والذي يظل عنده خاصة مستوراً حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه ! عند لقاءه ! رانها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله .

يا الله ! كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ! وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله ! ومن هم حتى يتولى الله جل جلاله إعداد ما يدخره لهم من جزاء ، في عناية ورعاية وودّ واحتفال ؟ لولا أنه فضل الله الكريم المنان ؟ فضل الله الكريم حتى يفتح أبواب رحمته الواسعة ، أبواب الجنان :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفاً -- أو سبعائة ألف -- متمسكون آخذ بعضهم ببعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ^(١)) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة لكبما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة ^(٢)) .
عن خالد بن عمير قال : خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإن الدنيا قد آذنت بصرم ^(٣) ، وولت حذاء ^(٤) ، ولم يبق منها إلا صابرة كصابرة الاناء بصطبها صاحبها ، وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما يحضرنكم ، ولقد ذكر لنا أن مصرعين من مصاريع الجنة بينها

(١) (٢٤١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) قطيعة .

(٤) حذاء : مسرعة .

مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم كظيظ من الزحام (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، وبجامرهم الآلوة (٢) ، أزواجهم الخور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء (٣)) .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ (أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر . لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آينتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، وبجامرهم الآلوة ، ورشحهم المسك ، لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يُسبحون الله بكرة وعشياً) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنة جرداً (٤) مُرداً (٥) مكحلين (٦) بني ثلاث وثلاثين (٧)) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ (أهل الجنة جرد ، مُرد ، كتحلى ، لا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم (٨)) .

(١) رواه مسلم هكذا موقوفاً .

(٢) الآلوة : من أسماء العود الذي يتبخر به .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) الجرد : جمع أجرد وهو من لا شعر على جسده .

(٥) المرء : جمع امرء : وهو من لا شعر في وجهه .

(٦) المكحل : جمع أكحل : وهو الذي اسودت عينه كأنما فيها الكحل .

(٧) رواه الترمذي وقال حسن غريب ، وهو حديث حسن بشواهد .

(٨) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن بشواهد .

وعن المقدم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (مامن أحد يموت سيقطع ولا هراً وإنما الناس فيما بين ذلك ، إلا بُعث ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم ، وصورة يوسف ، وقلب أيوب ، ومن كانت من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال^(١)) .

درجات الجنة :

قال الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة . وكلاً وعدة الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة وكان الله غفوراً رحيماً) .

وقال تبارك وتعالى : (أمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) .

وقال سبحانه : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب اللدني الغابر^(٢) في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين^(٣)) .

(١) رواء البيهقي بإسناد حسن .

(٢) الغابر : هو الداهب الماضي الذي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للراس وهو أعلا فائدتان : أحدهما بعده من العيون ، والثانية : أن الجنة درجات ، بعضها أعلا من بعض .

(٣) رواء البخاري ومسلم .

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ (إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهن)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض^(١)) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، منها تُفجَّر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس^(٢))

وأما أعلا درجة في الجنة فهي الوسيلة وهي درجة النبي ﷺ ، وسميت الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن . وهي أقرب الدرجات إلى الله . وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فصيلة من وسَّل إليه إذا تقرب إليه .

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليّ فإنه من صلَّى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا ثم سلّوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي^(٣)) .

وقال أحمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إذا صليتم فسلوا الله لي الوسيلة ، قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلا درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من قال حين يسمع النداء : **اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة**

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم .

الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة ^(١) .
 » ومعنى الوسيلة من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً .
 وقد كشف الله سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله (أولئك الذين يدعون
 يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير للوسيلة . ولما
 كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية وأعظمهم له
 محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل الى الله وهي أعلا درجة في الجنة ، وأمر النبي ﷺ
 أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الايمان ^(٢) .

٢ - طعام أهل الجنة

يقول الله سبحانه : (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا
 هنيئاً بما كنتم تعملون) وقال سبحانه : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا
 كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية
 كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) وقال عز وجل : (وتلك الجنة التي
 أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقال تباركت
 أسماؤه : (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلفا دائم وظلها)
 وقال تعالى : (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وقال تعالى : (وأصحاب اليمين
 ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة
 كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) كل شيء هنا معد للتناول بلا كد ولا مشقة ، نعيم فيه
 ما تشتهي النفس وتلذ العين ، فهنا لا شيء ممنوع . ولا شيء على غير ما يشتهي السعداء
 الخالدون (ولحم طير مما يشتهون) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) حادي الارواح ص ٧٢ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن طير الجنة كأمثال البُخْت ، ترعى في شجر الجنة) فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه لطيرٌ ناعمة ، فقال (أكلتها أنعم منها ، قالها ثلاثاً ، وإني لأرجو أن تكون من يأكل منها) .
وفي رواية الترمذي ، ولفظه : قال : سئل النبي ﷺ : ما الكوثر ؟ قال : (ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدهُ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر) . - (الجزر : جمع جزور ، وهو البعير ، والبُخْت هي الأبل الحراسانية) -
قال عمر : ان هذه لناعمة ، فقال رسول الله ﷺ (أكلتها أنعم منها^(١))
وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (يا كل أهل الجنة وبشربون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، ولا يبولون ، طعامهم جُشاء كريح المسك ، يلهمون^(٢) التسييع والتكبير كما يلهمون النفس^(٣)) .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون وبشربون ؟ قال : (نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع) . قال : فان الذي يأكل وبشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ، قال : (تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك ، فيضمر بطنه^(٤))

٣ - شراب أهل الجنة

وبينا أهل النار في النار يشوون ويشربون زيت الدردري أو القيع . إذ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات عدن للآقامة تجري من تحتهم الأنهار بالري وبهجة المنظر واعتدال النسيم ..

-
- (١) رواه أحمد بإسناد جيد والترمذي وقال حديث حسن .
(٢) يعني أن التسييع والتكبير والتحميد من الأعمال غير الإرادية ، فهم لا يتكلفونها ، لأن الجنة ليست دار تكليف وإنما هي دار ثواب .
(٣) رواه مسلم وأبو داود .
(٤) رواه أحمد والنسائي ورواه محتج بهم في الصحيح .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (الكوثر نهر في الجنة : حافته من ذهب ، ومجره على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج ^(١)) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (بينا أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال : فضرب المَلَكُ بيده ، فإذا طينه مسكٌ أذفر ^(٢)) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنهار الجنة تخرج من تحت تلال - أو من تحت جبال المسك ^(٣)) .

وعن معاوية وهو جدّ بهز بن حكيم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة بحر العسل وبحر الخمر وبحر الماء ، ثم تنشق الأنهار بعد ^(٤)) .

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (رُفِعَت لي السدرة ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فأما الظاهران : فالنيل والفرات ، وأما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأُتِيتُ بثلاثة أقذاح : قدح فيه لبن ، وقدح فيه عسل ، وقدح فيه خمر ، فأخذتُ الذي فيه اللبن ، فقليل لي : أصبت الفطرة ^(٥)) .

إن أهل الجنة ينعمون بكل معاني النعيم واللذة وإذا شربوا فماذا يشربون :
(إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يُفَجَّرُونَهَا تفجيرا) (ويُسْقَوْنَ فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسيلا) .

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(٢) مسك أذفر : إذا كان طيب الريح ، والحديث رواه البخاري .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٤) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) أخرجه البخاري

وهذه العبارة تفيد أن شراب الأبرار في الجنة ممزوج بالكافور ، ويشربون في كأس تغترف من عين تفجر لهم تفجيرا ، في كثرة ووفرة .

وهم في ذلك النعم يُطاف عليهم بأشربة في آنية من فضة ، وفي أكواب من فضة ، ولكنها شفة القوارير (ويُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قواريرا من فضة قَدَّرَها تقديرا) .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (جنتان من فضة ، آينتهما وما فيها ، وجنتان من ذهب ، آينتهما وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن^(١)) .

كله بما لم تعده الأرض ، وهذه الآنية بأحجام مقدرة تقديرا يحقق المتاع والجمال ، ثم هي تُخرج بالزنجبيل كما مزجت مرة بالكافور (ومزاجها زنجيلا) . وهي كذلك تلاء من عين جارية تسمى سلسيلا (عينا فيها تسمى سلسيلا) ، لشدة عذوبتها واستساغتها لدى الشاربين . هؤلاء المتقون في ظلال ، وفي عيون من ماء .. (إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون) وهم يتلقون فوق هذا النعم الحسي التكريم العلوي على مرأى ومسمع من الجموع (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) .

وهذا الماء الذي يشربونه هو كالينبوع المتدفق (فيها عين جارية) وهو يجمع إلى الري الجمال . جمال الحركة والتدفق والجريان . والماء الجاري يجاوب الحس بالحوية وبالروح التي تنتفض وتنبض ! وهو متعة للنظر والنفس من هذا الجانب الحفي ، الذي يتسرب إلى أعماق الحس . إنهم في موضع التكريم ، ينظرون حيث يشاءون ، لا يعضون من مهانة ، ولا يشغلون عن النظر من مشقة ، وهم على الأرائك . وهم في هذا النعم ناعمو النفوس والأجسام ، تفيض النظرة على وجوههم وملاعهم حتى ليراها كل

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

راه : (تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختمامه مسك)
والرحيق الشراب الخالص المصفى ، الذي لا غش فيه ولا كدرة (ومزاجه من تسنيم
عيناً يشرب بها المقربون) ، فهم في نعيم مضاعف يجمع كل مظاهر النعيم ، نعيم تستمتع
به النفس ويستمتع به الحس . وتجد فيه كل نفس ما تشتهي من ألوان النعيم : (أولئك
لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون . في جنات النعيم . على سرر متقابلين .
يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين . لافها غول ولا هم عنها ينزفون) .
إنهم في أعلى مراتب التكريم . فهم مُيَنَّمُونَ فلا يتكلفون شيئاً من الجهد في دار
الراحة والرضوان والنعيم ، وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الأواني
والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه ، لا يفعل فيهم الزمن ، ولا تدر كم
السن ؛ فهم مُخَلَّدُونَ في سن الصبابة والصبا والوضاءة . وهم هنا كاللؤلؤ المنشور
(ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) . يطوفون عليهم
بأكواب وأباريق وكأس من معين من خمر صافية سائغة . فلا هم يفرقون عنها
ولا هي تنفذ من بين أيديهم . فكل شيء هنا للدوام .

تلك أجمل أوصاف الشراب التي تحقق لذة الشراب ، وتنفي عقابله ، فلا تخار
يصرع الرؤوس ، ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع ، فهم في متاعهم متكئين على
الأرائك بين الظلال الوارفة والقطوف الدانية والجو الرائق (ودانية عليهم ظلالها
وذئلت قطوفها تذليلاً) فهم في ظل ظليل ناعم هادئ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، إن شئت فاقروا) وظل ممدود وماء
مسكوب^(١) .

(١) رواه البخاري والترمذي .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها) وزاد الترمذي : (وذلك الظل الممدود^(١)) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) أقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، وأقروا إن شئتم (فمن رُحِزَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .

فهم في نعيم وإلى نعيم فهم في جنات خضراء ، والعيون تنضّ بالماء : (ومن دونها جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . مدعامتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها عينان نضاختان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها فاكهة ونخل ورمات) . ونظر إلى أهل الجنة متكئين على الأبط وكأنها من صنع عبقر ، وقد كانوا ينسبون كل عجب إلى وادي الجن عبقر (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) .

والسابقون المقربون : (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سُرر موضونة متكئين عليها متقابلين) ، سرر مشبكة بالمعادن الثمينة متكئين عليها في راحة وخلو بال من المهوم والمشغل ، وفي طمأنينة على ما هم فيه من نعيم ، لا خوف من فوته ولا نفاذه وفي اقبال بعضهم على بعض يتسامرون .

إنها الجنة في نعيمها ، فيها السرر المرتفعة التي توحى بالنظافة كما توحى بالطهارة ، والأكراب مصفوفة مهيأة للشراب لا تحتاج إلى طلب ولا إعداد . والوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح ، والبسط والسجاجيد مبثوثة هنا وهناك للزينة والراحة سواء (فيها

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وزاد : (وذلك الظل الممدود) .

سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة) .

وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباهاً في الأرض . وتذكر هذه الأشياء لتقريبها الى مدارك أهل الأرض . أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهي موكولة الى المذاق هناك . للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق .

وهناك لا فضول في الحديث في الجنة ولا ضجة ولا جدال ، إنما يسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الراضي صوت السلام (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب . إنه كان وعده مأتياً . لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا . تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) الجو سكون وهدوء يغمره السلام والاطمئنان والود والرضى والنجاء والسمريين الأحباء والأدواء ، والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية ، لا خير فيها ولا عافية ، هناك في الجنة العالية (في جنة عالية) ، عالية في ذاتها رفيعة بحيدة . ثم هي عالية الدرجات . وعالية المقامات . إنه جو السعادة والتنزه عن كل كلمة لاغية . وهذه وحدها نعيم . وهذه وحدها سعادة . سعادة تتبين حين يستحضر الحس هذه الحياة الدنيا ، وما فيها من لغو وجدل وصراع وزحام وجلج وخضام وقرقرة وفرقعة . وضجة وصخب ، وهرج ومرج . ثم يستسلم بعد ذلك لتصور الهدوء الآمن والسلام الساكن والود الرضي والظل الندي في العبارة الموحية (لا تسمع فيها لاغية) وألفاظها تنسم الروح والندى وتنزل في نعومة وبسر ، وتوحي هذه اللمسة بأن حياة المؤمنين في الأرض وهم يتأوت عن الجدال واللغو هي طرف من حياة الجنة . يتهاون بها لذلك النعيم الكريم . يوم يحيون في هدوء وسكون ، وفي ترفع وتنزه عن كل لغو في الحديث ، وكل جدل وكل مؤاخذه (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلاً سلاماً سلاماً) .

حياتهم كلها سلام . يرف عليها السلام . ويشيع فيها السلام . تسلم عليهم الملائكة

في ذلك الجو الناعم الآمن ؛ ويُسلم بعضهم على بعض . ويبلغهم السلام من الرحمان .
فالجو كله سلام سلام .

فهي حياة مصونة من اللغو ومن التكذيب الذي يصاحبه الجدل ، فهي حالة من
الرفعة والمتعة تليق بدار الخلود (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً) والرزق في هذه
الجنة مكفول لا يحتاج الى طلب ولا كد . ولا يشغل النفس بالقلق والخوف من
التخلف أو النفاق . فما يليق الطلب ولا القلق في هذا الجو الراضي الناعم الأمين . فمن
شاء ورائة الجنة فالطريق معروف : التوبة والايان والعمل الصالح .

إن هذه الصور الحسية والمعنوية من النعيم والعذاب ترد في مواضع شتى من
القرآن . والله الذي خلق البشر ، أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يؤثر في قلوبهم ، وما يصلح
لنعيمهم ولعذابهم .

والنفوس ألوان ، والطبائع شتى . تلتقي كلها في فطرة الانسان ، ومن ثم فصل
الله ألوان النعيم والعذاب ، وصنوف المتاع والآلام ، وفق علمه المطلق بالعباد . وأي
فوز عظيم من يفوز بالنجاة يوم الهلاك ويستمتع بالمقام الأمين (إن المتقين في مقام أمين
في جنات وعيون . يلبسون من سندس واستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور
عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم
عذاب الجحيم . فضلاً من ربك . ذلك هو الفوز العظيم) .

فاذا المتقين الذين كانوا يخشون هذا اليوم ويخافون . إذا هم في مقام أمين ،
لا خوف فيه ولا فزع ، ولا شدة فيه ولا جذب ، ولا عتل ولا وصب ! بل هم
منعمون راقون في جنات وعيون يلبسون من سندس – وهو الحرير الرقيق – ومن
استبرق – وهو الحرير السميك – ويجلسون متقابلين في مجالسهم يسمرسون ، فهم في سمر
والى سمر . من نعيم الى نعيم .

عن عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه قال : كنت أحب الحيل ، فقلت :

يا رسول الله ، هل في الجنة خيل ؟ فقال : (إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كنت لك فيها فرس من ياقوت وله جناحان يطير بك حيث شئت^(١)) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ربيع الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فتقول لهم أهلهم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً^(٢)) .
إنه النعيم من عطاء الله الكريم . وهم في الجنة أصحاب الدار ، يطلبون ما يشاءون ويدعون فيها بكل فاكهة آمين ، لا يتوقعون نهاية لهذا النعيم ، فلا موت هنالك وقد ذاقوا الموتة الأولى ، وغيرها لا يذوقون . وفضل الله عليهم أن وقاهم من عذاب الجحيم . فالنجاة من العذاب لا تكون إلا بفضل ورحمة ، وأي فوز عظيم ... فلا موت .. بل نعيم مقيم .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت ، حتى يجعل بين الجنة والنار ، فيذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم وأهل النار حزناً إلى حزنهم^(٣)) .

٤ - نساء أهل الجنة

يقول الله سبحانه : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقوا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة^(١) وهم فيها خالدون .

يقول ابن قيم الجوزية : (وجمع سبحانه في هذه البشارة نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه) .

والمؤمنون هناك في الجنة رافلون في ألوان من المتاع والحرير ، (إنا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار ، يحملون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ، متكئين فيها على الأرائك . نعم الثواب وحسنت مرتفقاً) ، والمؤمنون هناك للارتفاق حقاً رافلون في ألوان الحرير (هم وأزواجهم) من سندس ناعم خفيف ومن استبرق مخمل كثيف تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع ، متاع لا يخطر على قلب بشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من يدخل الجنة ينعم ، ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر^(٢)) .

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحليها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج^(٣)) .

(١) المطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل اذى يكون من نساء الدنيا .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الطبراني بإسناد صحيح والبيهقي بإسناد حسن .

ومن شاء فليختر . ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، هذا هو فضل الله الكريم المنان (ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها من كل فاكهة زوجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ومن دونهما جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

فلنشهد الجنتين الأوليين ولننعمش فيهما لحظات : انهما ذواتا أفنان ، والأفنان الأغصان الصغيرة الندية فهما ريارتان . وماؤهما غزير ، وسهل يسير ، وفاكهتهما كثيرة وفيرة . وأهل الجنتين ما حالهم : متكئين على المحمل الحرير السميك . فكيف وهذه بطائن الفرش ، كيف بظاهرها إذا كانت تلك بطائنها ، وكل شيء قريب التناول لا يتعب فيها قطاف ، كلها السعادة والراحة والاطمئنان والجمال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : (لينة ذهب ولينة فضة ، وملاطها المسك ، وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتراها الزعفران ، من يدخلها ينعم ، ولا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ^(١)) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن للمؤمن في الجنة حجة من أولوة واحدة بجوفة طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلوته يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ^(٢)) .

(١) رواه أحمد والترمذي والبرز والطيبراني في الاوسط ، وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه البيهقي ومسنم والترمذي .

ولكن هذا لا يستقصي ما في الجنة من رفاة ومتاع فهناك بقية بهيجة لهذا المتاع (فبين قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، فهن عفيفات الشعور والنظر لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن ، مصونات لم يمسهن إنس ولا جان ، وهن بعد هذا ناضرات لامعات (كأنهن الياقوت والمرجان) وقد وصفهم الله سبحانه كذلك (وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) واللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يتعرض للمس والنظر ، فلم تنقبه يد ولم تحدسه عين ! وفي هذا كناية عن معان حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون . فمن متاع إلى متاع لا ينتهي .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب^(١) قوس أحدكم أو موضع قيده - يعني سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينها رجاً ، ولأضأت ما بينها ، ولنصيفها^(٢) على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(٣)) .

وقال رسول الله ﷺ (غدوة في سبيل الله أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة اطلعت على الأرض من نساء أهل الجنة لأضأت ما بينها ولمألت ما بينها رجاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(٤)) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء ، ولكل منها زوجتان اثنتان يئرى من سوقها من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب^(٥)) .

(١) القاب : المقدار .

(٢) النصيف : الخمار .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع) ، قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال : (يعطى قوة مائة^(١)) .
 ألا إنها الجنة (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا) ،
 إن المتقين ينهون إلى مفازة ومنجاة تتمثل حدائق وأعناب ، وكواعب وهن الفتيات
 الناهدات ، اللواتي استدارت ثديهن . أترابا متوافيات السن والجمال . وكأسا دهاقا
 مترعة بالشراب (وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بيض مكنون) ، وعندهم
 حور لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن حياء وعفة ، مع أنهن واسعات جميلات العيون !
 وهن كذلك مصونات معرقة ولطف ونعومة لا تبتذله الأيدي ولا العيون .
 وذلك كله جزاء من خاف مقام ربه ، وعبدته كأنه يراه ، شاعرا أن ربه يراه ،
 فبلغ بذلك مرتبة الاحسان كما وصفها رسول الله ﷺ فنسألوا جزاء الاحسان من
 عطاء الرحمن .

هـ - أصحاب الجنة

يقول الله سبحانه : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . هم وأزواجهم
 في ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) .
 ويقول سبحانه : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات - لا نكلف نفسا إلا
 وسعها ... أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري
 من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .
 لقد جاءت رسل ربنا بالحق . ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) .
 هؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قدر استطاعتهم ، لا يكلفون إلا طاقتهم .

(١) أخرجه الترمذي واسناده حسن ، ورواه الدارمي بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم .

هؤلاء هم يعودون الى جنتهم ! لانهم أصحابها - بإذن الله وفضله - ورثها لهم - برحمته ، بعملهم الصالح مع الايمان ، جزاء ما اتبعوا رسل الله وعصوا الشيطان . وجزاء ما أطاعوا أمر الله العظيم الرحيم ، وعصوا وسوسة العدو اللئيم القديم ! ولولا رحمة الله ما كفى عملهم - في حدود طاقتهم - وقد قال رسول الله ﷺ (لن يدخل أحداً منكم الجنة عمله) قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال : (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل^(١)) .

إن أصحاب الجنة هم الذين أحسنوا . أحسنوا الاعتقاد ، وأحسنوا العمل ، وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم ، فأما هؤلاء فلهم الحسنى جزاء ما أحسنوا ، وعليها زيادة من فضل الله غير محدودة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وهم ناجون من كربات يوم الحشر ، ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل في أمر الخلق ، فلا يغشى وجوههم قتر ولا تكسو ملاعهم الذلة (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) . والتعبير يوحى بأن في الموقف من الزحام والمهل والكرب والخوف والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه ، فالنجاة من هذا كله غنيمة وفضل من الله يضاف الى الجزاء المزيد فيه .

إن أصحاب الجنة هم أصحاب القلوب المفتوحة ، ما إن تتلقى حتى تستجيب ، وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة ، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها ، فتتجه الى ربها تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات (سبحانك فقنا عذاب النار) .

هؤلاء هم الذين يخشون ربهم ويتقونه ، ويعيشون في حذر وخشية ، في تطلع ورجاء ، هم أصحاب النفوس الطاهرة الذين يتورعون عن مقارفة الذنوب والفواحش

(١) أخرجه مسلم .

(الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) . ونظافة السلوك من كبائر الاثم ومن الفواحش أثر من آثار الايمان الصحيح . وما يبقى قلب على صفاء الايمان وتقواته وهو يقدم على كبائر الذنوب والمعاصي ولا يتجنبها . وما يصلح قلب للجنة وقد فارقه صفاء الايمان وطُمست المعصية وذهبت بنوره .

هذه القلوب المفتوحة قد أزال العوائق التي تقوم بينهم وبين ربهم . أزالوا هذه العوائق الكامنة في النفس دون الوصول . وما يقوم بين النفس وربها إلا عوائق من نفسها . عوائق من شهواتها ونزواتها . عوائق من وجودها وتشبهها بذاتها . فأما حين تخلص من هذا كله فانها تجد الطريق الى ربها مفتوحاً وموصولاً . حينئذ تستجيب بلا عائق .. (والذين استجابوا لربهم) تستجيب بكلياتها . ولا تقف أمام كل تكليف بعائق من هوى يمنعها .

إن أصحاب الجنة هم الذين تهتز مشاعرهم ، وتلين قلوبهم للذكر الله (وبشّر الخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ، وهؤلاء بعد تحرك الوجهل في ضمائرهم ومشاعرهم تفيض أعينهم من الدمع (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ، وفاضت أعينهم من الدمع تعبيراً عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي ميموه . والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاءة من التعبير إلا الدمع الغزير . وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول ، فيفيض الدمع ، ليؤدي مالا يؤديه القول ، وليطلق الشحنة الحليسة من التأثر العنيف .

يقول رسول الله ﷺ : (عيان لا تمسها النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله ^(١)) .

ثم هم لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع ، ولا يقفون موقفاً سلبياً من الحق الذي

(١) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن .

تأثروا به ، إنهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع ثم ينتهي أمره مع هذا الحق . إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفاً إيجابياً صريحاً ، موقف الاستماع والمعرفة ، ثم التأثر الغامر والإيمان الجاهر ، ثم الاسلام ، والشهادة لهذا الدين سلوكاً وعملاً وجهاً لا قراره في الأرض والتمكين له في حياة الناس .

هؤلاء هم القائمون بالعزائم والتكاليف ، الحائفون من اليوم العبوس ، يبتغون وجه الله وحده (إنما يخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) .

ومن هنا يبدو أثر الايمان في القلب ، من الحساسية والارهاق والتخرج ، والتطلع الى الكمال . وحساب العواقب . مهما ينهض بالواجبات والتكاليف . فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى ؛ وهم يؤمنون بآياته ولا يشركون به . وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا ، ولكنهم بعد هذا كله : (يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) ، لإحساسهم بالتقصير في جانب الله ، بعد أن بذلوا ما في طوقهم ، وهو في نظرهم قليل .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : (لا يا بنت الصديق ! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل ^(١)) .

إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ، وبحسب آلاءه في كل نفس وكل نبضة ، ومن ثم يستصغر كل عباداته ، ويستقل كل طاعاته ، إلى جانب آلاء الله ونعماته . كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته ، ويرقب بكل مشاعره يد الله

(١) أخرجه الترمذي .

في كل شيء من حوله ، ومن ثم يستشعر بالهبة ، ويشعر بالوجل ، ويشفق أن يلقي الله وهو مقصر في حقه ، لم يوفّه حقه عبادة وطاعة . ولم يقارب أياديهِ عليه معرفة وشكراً ، وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات ، وهم الذين يسبقون لها فينالونها في الطلعة ، بهذه اليقظة وبهذا التطلع ، وبهذا العمل ، وبهذه الطاعة . لا أولئك الذين يعيشون في غمرة ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة ، مرادون بالخير ، كالصيد الغافل يُستدرج الى مصرعه بالطعم المغري . ومثل هذا الطير في الناس كثير ، يغمرهم الرخاء ، وتشغلهم النعمة ، ويطغيمهم الغنى ، ويلهمهم الغرور ، حتى يلاقوا المصير ! تلك اليقظة التي يفرضها الاسلام على قلب المسلم . والتي يستجيشها الايمان بمجرد استقراره في القلوب ، ليست أمراً فوق الطاقة ، وليست تكليفاً فوق الاستطاعة . إنما هي الحساسية الناشئة من الشعور بالله والانصل به . ومراقبته في السر والعلن ؛ وهي في حدود الطاقة الانسانية ، حين يشرق فيها ذلك النور الوضيء (ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) .

ولقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس ، وهو محاسبهم وفق ما يعملونه في حدود الطاقة ، لا يظلمون بتحميلهم ما لا يطيقون ، ولا يبخسهم شيئاً مما يعملون ، وكل ما يعملونه محسوب في سجل (ينطق بالحق) ويبرزه ظاهراً غير منقوص والله خير الحاسبين .

إن أصحاب الجنة هم أصحاب الشعور بخشية الله ، خشية تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف . الشعور الذي يزيح الحواجز ، ويرفع الأستار ، ويقف القلب عارياً أمام الواحد القهار . والذي يخلص العبادة ويخلص العمل من شوائب الرياء والشرك في كل صورة من صوره . فالذي يخشى ربه حقاً لا يملك أن يخطر في قلبه ظلاً لغيره مع خلقه . وهو يعلم أن الله يرد كل عمل ينظر فيه العبد الى غيره معه . فهو أغنى الشركاء عن الشرك فإما عمل خالص له ، وإلا لم يقبله . قال رسول الله ﷺ : قال الله

تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه^(١)) .

إن أصحاب الجنة هم المتقون الخائفون . المتقون . والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه في الدنيا ، وخوفها يوم القيامة . فمن اتقاء في العاجلة أمنه في الآجلة ، ومع الأمان في أفرع موطن يغمره بالانس والتكريم .

وقال ﷺ (قال الله عز وجل : لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فإن أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافي في الدنيا أمنت يوم القيامة^(٢)) . وقد وصف رسول الله ﷺ أهل الجنة وأصحابها فقال : (عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه^(٣)) وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره^(٤))

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير^(٥))

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ؛ والنبي وليس معه أحد ، ورفع إلي سواد عظيم فظننت أنهم أمني ، فقل لي هذا مومي وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه .

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه أيضا أحمد في المسند والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) أخرجه مسلم .

حساب ولا عذاب) ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . قال بعضهم لعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم فلعلمهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشر كوا بالله شيئاً وذكروا أشياء . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : (ما الذي تخوضون فيه) ؟ فأخبره فقال : (هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : (أنت منهم) . ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : (سبقك بها عكاشة^(١)) .

وقد جعل النبي ﷺ الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من الشرك، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره، وتتركهم الاسترقاء والتطيير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث : (الطيرة شرك) .

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ (إن المتحابين ل ترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : ممن هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل) .

وفي المسند عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : (يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه) .
عن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة الجواظ^(٢) ولا الجعظري^(٣)) ، قال : ولا الجواظ الغليظ^(٤)) .

وعنه رضى الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل

(١) رواد البخاري ومسلم .

(٢) الجواظ : النوع ، وقيل السمين المختال في مشيته ، وقيل القصير البطين .

(٣) الجعظري : اللفظ الغليظ .

(٤) أخرجه أبو داود واسناده صحيح .

ضعيف متضعف ، لو أَقْسَمَ على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل مُعتل^(١) جواظ مستكبر^(٢))

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة عُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله قال : (لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام^(٣)) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (أنا زعيم بيت في رَبَضِ^(٤) الجنة لمن ترك المراء^(٥) وإن كان محقاً ، وبيت في وَسْطِ الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حَسَنَ خُلُقَهُ^(٦)) .

وقال ﷺ : (وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌ موفق ، ورجل رحيم القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ..^(٧))

وأبواب الجنة كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي . قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب . فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دُعي . فهل يُدعى أحد منها كلها قال : نعم وأرجو أن تكون منهم^(٨))

(١) المعتل : الغليظ الجاني .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والنرمدي .

(٣) رواه الطبراني والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

(٤) ربض المدينة : ما حولها من العمارة .

(٥) المراء : الجدال .

(٦) أخرجه أبو داود وإسناده صحيح .

(٧) أخرجه مسلم .

(٨) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أَؤُوتِرْتِ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسُقَطُهُمْ ^(١) ؟ زَادَ فِي رِوَايَةٍ وَغَرَّبَهُم ^(٢)) - فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحِمَتِي ، أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَلَأُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ : فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فِي رِوَايَةٍ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ - فَتَقُولُ : قَطَّ قَطَّ قَطَّ ، فَهَذَا لَكَ قَتْلِي ، وَيَزُوي بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا ^(٣)) .

٦ - أحوال الناس في الجنة

يقول الله سبحانه (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)
 إن السرور يشيع في أعطافهم وقسماتهم ، فيبدو عليهم الجور ، فإذا صحاف من ذهب وأكواب يُطَافُ بها عليهم ، وإذا لهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس . وفوق شهوة النفس التذاذ العيون ، وكالاً وجمالاً في التكريم . كما أن لهم الخلود : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يَبْغُونَ عنها حولاً) .
 إنهم خالدون في جنات الفردوس ، فهم مستقرون مستروحون ناعمون في الظلال .

(١) السقط في الأصل : المزدري به .

(٢) الفر : الذي لم يجرب الأمور ، فهو قليل الشر منقاد ، والمعنى : أن من أتر الخمول وإصلاح نفسه والتزود لمعاده ونبد أمور الدنيا ، فليس غيراً فيما قصد له ، ولا سقطاً ولا مدموماً بنوع من الدم .

(٣) متفق عليه .

(في ظلال وعيون) (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) .. آخذين من فضله وإنعامه جزاء ما أسلفوا في الحياة الدنيا من عبادة الله كأنهم يرونه ، ويقين منهم بأنه يراهم : (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) ، فهنا وجوههم يبدو فيها النعيم . ويفيض منها الرضى . وجوه تنعم بما تجدد ، وتحمد ما عملت فوجدت عقباً وخيراً . (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) ، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع . شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها . وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته ، ثم يراها ممثلة في رضى الله الكريم . وفي النعيم . ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما في الجنة من رخاء ومتاع ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء . (ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) ، إن المشهد يتكشف عن نعيم مادي ملموس ونعيم نفسي محسوس . فهم في بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يلي بعض رغائب النفوس . وبجانبه ذلك الرضى وذلك الأمن وذلك الأطمئنان فالجو كله يسر وراحة ونعيم ، (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار فيحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) والذين آمنوا فهم هناك في الجنات تجري من تحتها الأنهار . وفصلت لباسهم من الحرير فوقها حلي من الذهب واللؤلؤ . وقد هداهم الله إلى الطيب من القول . وهداهم إلى صراط الحميد ، إنها نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق .

وهم في هذه الجنات يألف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . وهؤلاء يدخلون الجنة بصلاحهم واستحقاقهم ولكنهم يُكرمون بتجمع شتاتهم ، وتلاقي أحبابهم ، (أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم

وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم . فنعم عقبى الدار) ، وهي لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان .

روى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه) ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ، قال : (مانقضنا الآباء بما أعطينا البنين ^(١)) .

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال : (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال : إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم ، فيؤمر بالالحاق بهم ثم تلا ابن عباس : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) الى آخر الآية ^(٢)) .

وفي جو التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم ، في حركة راحة غادية . فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والاكرام (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً) ، سلام من كل خوف ، ومن كل تعب ، ومن كل كد سلام يتلقونه من الله تحمله إليهم الملائكة . وهم يدخلون عليهم من كل باب ، يبلغونهم التحية العلوية . إلى جانب ما أعد لهم من أجر كريم ، فياله من تكريم ، فهم مشغولون بما هم فيه من النعيم ، ملتذون متفكهون . وانهم لفي ظلال مستطابة ، يستروحون نسيمها ، وعلى أرائك متكئين في راحة ونعيم هم وأزواجهم ، (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلاماً قولاً من رب رحيم) . لهم فيها فاكهة ولهم كل ما يشاؤون ، وهم ملاك محقق لهم فيه كل ما يدعون . ولهم فوق اللذائذ التأهيل والتكريم ، (سلام) ،

(٢٤١) حادي الارواح لابن قيم الجوزية (٣٢٠) .

يتلقونه من ربهم الكريم ، (سلام قولاً من ربّ رحيم) .

ها هم المتقون يدخلون الجنات بسلام آمنين ، فهم الذين يرقبون الله ويقون أنفسهم عذابه وأسبابه . ونزع الله ما في صدورهم من غلّ ، في مقابل الحقد الذي يغلي به صدر ابليس لغوايتهم ولا يمسم فيها نصب ولا يخافون منها خروجا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . ثم يُقال ، يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة . فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء قد عرفناه هو الموت الذي وكلّ بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور . ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت^(١)) .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون^(٢))

وعن جابر رضي الله عنه قال سئل نبي الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ : (النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون^(٣))

وهذا كله جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الكريم ، بعد أن نزع الله من صدورهم الغلّ :

(إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما في صدورهم من غلّ^١ أخوانا على سرر متقابلين . لا يمسم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) . (ونزعنا ما في صدورهم من غلّ^٢) . فهم بشر وعاشوا بشراً . وقد يثور بينهم في الحياة الدنيا غيظ يكظمونه ، وغل يغالبونه ويغلبونه ، ولكن تبقى في القلب منه آثار .

(١) رواه النسائي والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابن مردويه (حادي الارواح ٢٢٠) لابن قيم الجوزية .

(٣) رواه الطبراني .

قال القرطبي في تفسيره أحكام القرآن : قال رسول الله ﷺ (الغل على أبواب الجنة كمبارك الأبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين) . وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل) .

وإذا كان أهل النار يصطلون النار من تحتهم ومن فوقهم . فأهل الجنة تجري من تحتهم الأنهار ، فترف على الجو كله أنسام ، وإذا كان أولئك يشتغلون بالتنابز والحصام ، فهؤلاء يشتغلون بالحمد والاعتراف . وإذا كان أولئك ينادون بالتحقير والتأنيب ، فإن هؤلاء ينادون بالتأهيل والتكريم .

هؤلاء لاخوف عليهم . فالسرور يشيع في أعطافهم وقسباتهم فيبدو عليهم الجور فإذا صحاف من ذهب وأكواب يطاف بها عليهم ، وإذا لهم في الجنة ما تشبهه الأنفس وفوق شهوة الأنفس التذاذ العيون ، وكالاً وجمالاً في التكريم : (يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تمحزون الذين آمنوا بأياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) .

إنه مشهد وديع أليف ، رضي جميل ، إنه مشهد الجنة ، تقرب من المتقين ، حتى تتراءى لهم من قريب ، مع الترحيب والتكريم (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) . والتكريم في كل كلمة ، وفي كل حركة . فالجنة تقرب وتزلف ، فلا يكلفون مشقة السير إليها ، بل هي التي تجيء (غير بعيد) ونعيم الرضا يتلقاهم مع الجنة : (هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ . من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) فيوصفون هذه الصفة من الملاء الأعلى ، ويعلمون أنهم في ميزان الله أو أبون ، حفيظون ، يخشون الرحمن ولم يشهدوه ، فيثبون إلى ربهم طائعين . ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام لغير خروج (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) . ثم يؤذن في الملاء الأعلى ، تنويهاً بشأن القوم ،

واعلاناً بما لهم عند ربهم من نصيب غير محدود (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) ،
فهم اقترحوا فهم لا يبلغون ما أعد لهم . فالمزيد من ربهم غير محدود .

وإن عرض صورة المتقين وما أعد لهم من تكريم . وما هبء لهم من نعيم رخي
رغيد ، يطول عرضه ، وتكثر تفصيلاته ، وتعدد ألوانه ، مما يستجيش الحس الى
روح النعيم ويرده (إن المتقين في جنات ونعيم فأكبر بما آتاهم ربهم) ثم بعد ذلك
الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وهذا
الرضا في نفوسهم عن ربهم . الرضا عن قدره فيهم . والرضا عن انعامه عليهم . والرضا
بهذه الصلة بينه وبينهم . الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمانينة والفرح
الحالص العميق .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله عز وجل
يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ،
فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا ، وقد أعطيتنا ما لم نَحْطُ
أحداً من خلقك ؟ فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأي شيء أفضل من
ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ^(١)) .

ويقول سبحانه : (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر . ذلك هو
الفوز العظيم) .

إن الجنة للأقامة المطمئنة ولهم فوقها ما هو أكبر وأعظم ، وإن الجنة بكل ما فيها
من نعيم لتتضاءل وتتوارى في هالات ذلك الرضوان الكريم ، إن لحظة اتصال بالله .
لحظة شهود لجلاله . لحظة انطلاق من حبة هذه الأمشاج ، ومن ثقله هذه الأرض
ومهمومها القريبة . لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعاً من ذلك النور الذي

(١) رواد البخاري ومسلم والترمذي .

لا تدركه الأبصار . لحظة اشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح الله ، إن لحظة واحدة من هذه اللحظات التي تتفق للندوة القليلة من البشر في ومضة صفاء ، ليتضاءل الى جوارها كل متاع ، وكل رجاء ، فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح ، وتستشعره بدون انقطاع ؟ .

يقول الامام المحاسبي^(١) (.. فإن كنت من أهل العفو والتجاوز فتوهم إن تفضل الله عز وجل عليك بالعفو والتجاوز مبرك على الصراط ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك مبيض وجهك وقد فصلت من بين يدي الله عز وجل ، وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين ، والملائكة تنادي سلم سلم ، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين ، تنادي وينادون : (ربنا أقم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) ، فتدبر حين رأوا المناقبين طفيء نورهم وهاج الوجل في قلوبهم فدعوا بنام النور والمغفرة . فتوهم نفسك وقد انتهت الى آخره فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط ، فحق قلبك على جوار الله عز وجل واشتاق الى رضا الله حتى إذا عرت الى آخره خطوت بأحد رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط ، وبقيت القدم الأخرى على الصراط ، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك ، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة ، وزلت عن الجسر بيدتك ، وخلفته وراء ظهرك ، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها ، وتنب على من زل عنه مغتاضة تترفر عليه وتشق اليه ، ثم التفت الى الجسر فنظرت اليه باضطرابه ونظرت الى الخلائق من فوقه والى جهنم من تحته تثب وتترفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها في رؤوسهم ،

(١) التوهم ص ٣٢ .

فطار قلبك فرحاً إذ رأيتَ عظيمَ ما نجّاك الله منه ، فحمدتَ الله وازددت له شُكراً
إذ نجوت بضعفك من النار وخلصت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهاً الى جوار
ربك ، ثم خطوت آمناً الى باب الجنة قد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً ، فلا تزال في برك
بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها ، فاذا وافيتَ بابها استقبلك بحسنه ، فنظرت الى
حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدانها ، وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق
بدخول الجنة حين وافيتَ بابها أنت وأولياء الرحمن . فتوهم نفسك في ذلك الموكب
وهم أهل كرامة الله ورضوانه مميّزة وجوههم مشرقة برضا الله مسرورون
مستبشرون ، وقد وافيتَ باب الجنة بغير قبرك ، وحرّ المقام ووهج تعب مامر بك ،
فنظرت الى العين التي أعدها الله لأوليائه والى حسن ماها ، فانغمست فيها مسروراً لما
وجدت من برد ماها وطيبها ، فذهب عنك مجزون المقام وطهرك من كل دنس وغبار ،
فتوهم فرحة فؤادك لما باشر برد ماها بدنك بعد حرّ الصراط ووهج القيامة وأنت فرح
لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتطهر لدخول الجنة والخلود فيها ، ثم تخرج منها في أحسن
الصور وأتمّ النور . ثم تقصد الى العين الأخرى فتتناول من بعض آينتها ، فتوهم نظرك
الى حسن الاناء والى حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا
الشراب لتطهر جوفك من كل غلّ وجسدك ناعم أبداً ، حتى إذا وضعت الاناء على
فيك ثم شربته وجدتَ طعم شراب لم تذوق مثله ، حتى إذا استكملت طهارة القلب
والبدن واستكمل أحباء الله ذلك معك ، والله مطلع يراك ويراهم ، أمر مولاك
الجواد المتحنّ خزّان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين
وحلّين من عقابه إعظماً له وإجلالاً وهيبه له وحنناً من نعمته ، وأمرهم أن يفتحوا
باب جنته لأوليائه فانحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنة فدوا
أيديهم ليفتحوا أبوابها ، وأيقنتَ بذلك فطار قلبك سروراً وامتألت فرحاً وسمعتَ
حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك ، فياسرور قلوب المفتوح لهم باب

جنة رب العالمين ، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائتها فنفع وجهك وجميع بدنك وثارت أرايح الجنة العبقرة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب وأرياح طيب ثمارها وأشجارها وما فيها من نسيما ، فتداخلت تلك الأرايح في مشامك حتى وصلت الى دماغك وصار طيبها في قلبك ، ففاض من جميع جوارحك ، ونظرت بعينك الى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفائه ، فقد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان ، ونظرت الى حجب الله وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فان لك فيها الزيادات والنظر الى وجه ربك ، فاجتمع طيب أرايح الجنة وحسن بهجة منظرها وطيب نسيما وبرد جوتها ..

فتوهم نفسك إن تفضل الله عليك بهذه الهيئة فلو مت " فرحاً لكان ذلك يحق لك حتى إذا فتحوها بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه أولياء الله معك ، ونادوك سلام عليكم ، ثم أتبعوا السلام بقولهم : طبت فادخلوها خالدين ، فلما سمعت الإذن وأولياء الله معك بادرتهم الباب بالدخول فكظمت الأبواب من الزحام ، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظه من زحام أولياء الرحمان فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين الى ما قد عاينوا من حسن القصور من الياقوت والدر . فتوهم نفسك ان عفا الله عنك في تلك الزحمة مبادراً مع مبادرين مسروراً مع مسرورين بأبدان قد طهرت ووجوه قد أشرقت وأنارت فهي كالبدر ، فلما جاوزت بابها وضعت قدميك على تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المونع والمسك مصبوب على أرض من فضة والزعفران نابت حولها فذلك أول خطوة خطوتها في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت ، فأنت تتخطى في ترب المسك ورياض الزعفران ، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرها ، فيينا أنت تتخطى في عرصات الجنان في رياض

الزعفران و كسبان المسك إذ نودي في أزواجك وولدائك وخدامك وغلماذك ' إن فلاناً قد أقبل فأجابوا واستبشروا لقدمك كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ..) .

٧ - رؤية الله عز وجل :

إنه الغاية القصوى في نعيم الآخرة^(١)، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، يقول الله سبحانه : (كلابل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة . وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

إن هذا النص ليسير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها، كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها . ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة . حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم .

هذه الوجوه الناضرة ، نضرها أنها إلى ربها ناظرة ، إلى ربها ، فأى مستوى من الرفعة هذا ؟ أي مستوى من السعادة ؟ . إن روح الانسان لتستمتع أحياناً بلحظة من جمال الابداع الالهي في الكون أو النفس ، تراها في الليلة القمراء . أو الليل الساجي .

(١) أن رؤية الله سبحانه هي الغاية القصوى في الدار الآخرة . عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه أخرجه مسلم .

ومن مسروق بن الأجدع رحمه الله قال : قلت لعائشة : « يا أمتاه ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكن فقد كذب ، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين » . وفي رواية قال : قلت لعائشة : فأين قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » قالت : ذاك جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجل وأنه هذه المرة في صورته ، فسَدَّ الأفق » . وفي أخرى « ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول « لا يعلم الغيب إلا الله » رواه البخاري ومسلم . (قف شعري) : قف الشعر : إذا قام في منابته . الفرة : اختلاق الكذب .

أو الفجر الوليد . أو الظل المديد . أو البحر العباب . أو الصحراء المناسبة . أو الروض
البهيج أو الطلعة البهية . أو القلب النبيل . أو الايمان الوائق . أو الصبر الجميل . الى
آخر مطالع الجمال في هذا الوجود ، فتغمرها النشوة وتفيض بالسعادة ، وتترف بأجنحة
من نور في عوالم مُجَنَّة طليقة . وتتوارى عنها أسواق الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ،
وثقله طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء .

فكيف ؟ كيف وهي تنظر - لا إلى جمال صنع الله - ولكن إلى جمال ذات
الله ؟ ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مدد من الله . ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله ليملك
الانسان نفسه ، ويستمتع بالسعادة التي لا يحيط بها وصف ، ولا تتصور حقيقتها إدراك .
(وجوه يومئذ ناضرة) ، ومالها لا تنتضر ، وهي إلى جمال ربها تنظر ؟ إن
الانسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض ، من طلعة بهية ، أو زهرة ندية ، أو
جناح رفاف ، أو روح نبيل ، أو فعل جميل . فاذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ،
فيبدو فيها الوضاء والنضارة . فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكون . مطلقاً من كل
ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟ فما تبلغ الكينونة الانسانية ذلك المقام ، إلا
وقد خلصت من كل شائبة تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذي يعز عليه الخيال ! وكل
شائبة لا فيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من دواعي النقص والحاجة إلى شيء
ماسوى النظر إلى الله .

فأما كيف تنظر ؟ وبأي جارحة تنظر ؟ وبأي وسيلة تنظر ؟ فذلك حديث
لا يحظر على قلب يمس طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني ، في القلب المؤمن ،
والسعادة التي يفيضها على الروح ، والنشوف والتطلع والانطلاق !

فما بال أناس يجرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفاض بالفرح والسعادة؟ ويشغلونها
بالجلد !! إن إرتقاء الكينونة الانسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية
المحدودة ، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة الطليقة يومذاك . وقبل هذا الانطلاق

سيعز عليها أن تتصور - مجرد تصور - كيف يكون ذلك اللقاء .

فلنتطلع إلى فيض السعادة الغامر ، وفيض الفرح المقدس الطمور ، ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض ، فهذا التطلع ذاته نعمة لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم .

فما بال أناس قد حجب قلوبهم المعاصي والآثام حجبها عن الاحساس بربها في الدنيا . وطمسها حتى اظلمت وعيت في الحياة ، (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) .

فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق في الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجهه الكريم ، وأن يُحَال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى ، التي لا تُتاح إلا لمن شَفَت روحه ورقت وصفت واستحقت أن تكشف الحجب بينها وبين ربها . بمن قال فيهم : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وهذا الحجاب عن ربهم ، عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ونهاية بائسة لانسان يستمد انسانيته من مصدر واحد هو اتصاله بروح ربه الكريم . فاذا حجب عن هذا المصدر فقد خصائصه كانسان كريم ، وارتكس إلى درجة يستحق معها الجحيم (ثم إنهم لصالوا الجحيم) ومع الجحيم التأنيب وهو أمر من الجحيم ، (ثم يُقال هذا الذي كنتم به تكذبون) .

ثم هي الوجوه الكالحة المتقبضة التعيسة ، المحجوبة عن النظر والتطلع ، بخطاياها وارتكاسها وكثافتها وانطاماسها (ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) ، وهي التي يشغلها ويحزنها ويخلع عليها البسر والكلاحة توقعها أن تحل بها السكارثة القاسمة للظن ، المحطمة للفقار . الفاقرة . وهي من التوقع والتوجس في كرب وكلوحة وتقبض وتنغيص ..

فهذه هي الآخرة التي يذرونها ويهملونها ، ويتجهون إلى العاجلة يحبونها ويحفلونها . ووراء هذا اليوم الذي تختلف فيه المصائر والجدود ، هذا الاختلاف الشاسع البعيد من وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة إلى وجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة !

إن رؤية الله سبحانه هي أعلى مرتبة في نعيم الآخرة وقد بشر بذلك الرسول ﷺ :

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى) زاد في رواية (ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)^(١))

قال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تيمية قال : سمعتُ أبا موسى الأشعري يخاطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول : يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلي والحل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون : نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا . ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئاً مما وعِدوا . فيقولون : نعم . فيقول : قد بقي لكم شيء . إن الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى^(٢) .

وعن عكرمة قال : قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال نعم^(٣) .

وعن عمارة بن عبيد قال سمعتُ علياً يقول : (من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته^(٤)) .

إن رؤية الله تبارك وتعالى هي الغاية التي شمر إليها المشمرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون . إذا ناله أهل الجنة

(١) أخرجه مسلم والترمذي .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٢٣ .

(٣-٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٦٨ .

نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً سألوا النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال رسول الله ﷺ : فإنكم ترونه كذلك^(١)) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر ، وقال : (إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر لا تضامون^(٢)) في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب^(٣)) .

إن هذه الرؤية العظيمة كانت دعاءً للرسول ﷺ وصحابته فكانت النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء : (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاؤك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين^(٤)) .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علّمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال : (قل حين تصبح لييك اللهم لييك ، لييك وسعديك والخير في يديك ومنك

(١) أخرجه أبو داود وهو حديث صحيح .

(٢) لا تضامونه : المعنى : انكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم في رؤيته او لا يودحم بكم في رؤيته .

(٣) أخرجه البخاري مسلم والترمذي .

(٤) أخرجه ابن حبان وأحاكم في صحيحيهما .

والبك ، اللهم وما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فشيتك بين يديه ، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير ، اللهم وما صليتُ من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلماً وألحقني بال صالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدي علي أو أكسب خطيئة محيطة أو ذنباً لا تغفره ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهد وكفى بك شهيداً أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق ، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور ، أشهد أنك إن تكلمني إلى نفسي تكلمني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أتق إلا برحمتك فاعفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي" إنك أنت التواب الرحيم^(١) .

إن أهل الجنة حين يرون ربهم عز وجل ينسوت ما هم فيه من النعيم ، فهو فيض ونعمة تغمر كل شيء : فعن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحمل فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ، قلت وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير ، قلت وما يكون لنا فيها ؟ قال : يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال : لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبداً فيها

(١) رواه ابو داود في سننه .

شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ذخره له في آخرته ما هو أعظم منه ، قلت ما هذه النكتة التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد . قلت وما ذاك يا جبريل ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كئبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكراسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكئبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذي صدقتم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي ، فسألوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وباقوتة حمراء وغرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا بشيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا منه نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة^(١) . يقول الامام المحاسبي (.. فلما أكلوا وشربوا ، شخصت أبصارهم وتعلقت قلوبهم ، ثم رفع الحجب ؛ فبينما هم في ذلك إذ رفعت الحجب فبدا لهم ربهم بكرامته ، فلما نظروا إليه وإلى مالم يحسنوا أن يتوهموه ولا يحسنون ذلك أبداً لأنه القديم الذي لا يشبه شيء من خلقه ، فلما نظروا إليه ناداهم حبيبهم بالترحيب فيهم وقال لهم : مرحباً

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٥٢ ، يقول ابن قيم الجوزية « هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة ونقلوه بالقبول » (وجمثل به الشافعي مسنده) فرواه عن إبراهيم بن محمد وذكر نحو الحديث ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء ورواه محمد بن إسحاق (عن أنس وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » . وقد رواه عديد من الأئمة . وقد جمع ابن أبي دؤاد طرقه .

بعبادي ، فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور ما لم يجدوا مثله في الدنيا ولا في الجنة ، لأنهم يسمعون كلام من لا يشبه شيئاً من الأشياء . فتوهمهم ، وقد أظرقوا وأصغوا بسماعهم لاستماع كلامه ، وقد علا وجوههم نور السرور لكلام حبيبهم وقرير أعينهم ، فلو توهمت نفسك وقد سمعت قول الله لأوليائه مرحباً بهم ثم طار روحك فرحاً به وحباً له لكان ذلك منه حقيراً وصغيراً عندما توهمته من نفسك عند استماع كلامه ، فحيّاهم بالسلام فرؤدوا عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام .

فرحياً بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني في الغيب وقاموا مني على كل حال مشفقين ، وقد رأيت الجهد منهم في أبدانهم أثره لرضاي عنهم ، وقد رأيت ما صنع بكم أهل زمانكم فلم يمنعكم جفاء الناس عن حقي فتمنّوا عليّ ماشتم فلو رأيتمهم وقد سمعوا ذلك من حبيبهم يذكركم ما كانوا عليه في دنياهم من رعاية عهده وحفظه ودوام خوفهم منه وقد استطاروا فرحاً لما شكّر لهم رعايتهم حقّه ، وحفظ منهم خوفهم ، ورحب بهم بحبة لهم ، إذ كانوا بذلك إياه في الدنيا يعبدونه ؛ استطارت قلوبهم فرحاً وسروراً إذ لم يفرطوا في طاعته ولم يقصروا في مخافته ، فاغبطوا لما كانوا به لله في الدنيا يدينون من شدة خوفهم ورعاية حقه وحفظه ، فرؤدوا إليه الجواب مع سرور قلوبهم بالقسم لعظمته وجلاله ، أنهم قد قصدوا عما كان يحق له عليهم اعظماً له واستكثراً ، إذ أثابهم جنته وأكرمهم بزيارته وقربه واستماع كلامه ، فقالوا عند ذلك : وعزتك وجلالك وعظمتك وارتفاع مكانك ما قدرناك حق قدرك ، ولا أديننا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود فقال لهم ربهم : إني قد وضعتُ عنكم مؤونة العبادة وأرحتُ لكم أبدانكم فطالما أتعبتم الأبدان وأكنتم لي الوجوه ، فالآن أفضمتُ إلى كرامتي ورحمتي فتمنوا عليّ ماشتم — وفي بعض الحديث أنهم إذا نظروا إليه خروا فيناديهم بكلامه تبارك وتعالى : ارفعوا رؤوسكم ، ليس هذا حين عمل ، هذا حين سرور ونظر — فتوهم بعقلك نور وجوههم وما بداخلهم من السرور والفرح حين غابوا مليكهم ، وسمعوا

كلام حبيبهم ، وأنيس قلوبهم ، وقرّة أعينهم ، ورضا أفئدتهم ، وسكن أنفسهم ، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم ، فنظروا إلى من لا يشبه شيء بأبصارهم ، فبلغوا بذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة . فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لا يقع عليه الأوهام ، ولا يحيط به الأذهان ، ولا تكيفه الفكر ، ولا تحده الفطن ، الأزلي القديم الذي حارت العقول عن إدراكه . فكلت الألسنة عن تمثيله بصفاته ، فهو المنفرد بذاته عن شبه الذوات ، المتعالي بجلاله على مساواة المخلوقين ، فسبحانه لاشيء يعادله ، ولا شريك يشاركه ، ولا شيء يريدّه فيستعصب عليه أو يعجزه إنشاؤه ، استسلم لعظمته الجبارون ، وذلّ لقضائه الأولون والآخرون ، نفذ في الأشياء علمه بما كان وبما لا يكون ، وبما لو كان كيف كان يكون ، فأحاط بالأشياء علماً ، وسمع أصواتها سمعاً ...

فلما سرّ أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعم قلوبهم بمناجاته ، واستماع كلامه ، أذن لهم بالانصراف إلى ما أعدّ لهم من كرامته ونعيمهم ولذاتهم ، فانصرفوا على خيل الدرّ والياقوت على الأسرّة فوقها الحبال ترف وتطير في رياض الجنان . فما ظنك بوجوه نظرت إلى الله عز وجل وسمعت كلامه كيف ضاعف حسنها وجمالها ، وزاد ذلك في إشراقها ونورها . . . فلو رأيت وجوههم وقد أشرقت بسرور كلام مولاهم . . . فاعظم به من مجلس وأعظم به من جمع . . . فكن إلى ربك مشتاقاً وإليه متعباً . . . وبالله التوفيق وإليه المصير ، والجنة مثوى المؤمنين وثواب المتقين وسرور المحزونين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) .

* * *

(١) التوهم ص ٦٢ .